



# أفَاعِي الْفَرْدَوْسِ

إِلْيَاسُ أَبِي شَيْكَةَ



# أفاعي الفردوس

تأليف  
إلياس أبو شبكة



أفاعي الفردوس

إلياس أبو شبكة

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وفاء سعيد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١١٣١ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٨.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

## المحتويات

٧	في حديث الشعر
١٥	شمشون
١٩	القاذورة
٢٣	الأفعى
٢٥	في هيكل الشهوات
٢٧	سدوم
٣١	الخيال النقي
٣٣	عهدان
٣٥	الشهوة الحمراء
٣٩	شهوة الموت
٤١	حديث في الكوخ
٤٣	الصلاة الحمراء
٤٧	الدينونة
٥١	الطرح



## في حديث الشعر

لا أكتب هذه المقدمة لأحدد الشعر، أو لأعلم الشاعر كيف ينبغي له أن يشعر، وأي طريق يجب عليه أن يسلك ليصل إلى هيكل النور الأسمى، أو لأجيب بنظرية أتعصب لها وأعلن لأجلها حرباً؛ فالشعر كائن حي تحتشد فيه الطبيعة والحياة، فلا يقاس ولا يوزن، والنظريات مذاهب وأغراض، لا تعيش إلا على هامش الأدب، كما يعيش العَرَض على هامش الجوهر، أو كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الأمة الأزلية.

وقد تصح النظريات أو المذاهب في كتاب سياسي، أو وصية سياسية موجهة إلى شعب له أوضاعه الخاصة، وحدوده المقررة، وثقافته، وجنسيته؛ ولا تصح في شعر يعبر عن الحياة؛ فالحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود، وهي أوسع من أن نضع لها حدوداً ومقاييس، والدائرة الغير المحدودة لا تنحصر في الحدقة الضيقة.

ليس للفكر حد ولا تخوم، فكيف نضع للحياة حدًا وهي هدف الفكر؟!!

كيف نحدد هذه القوة المتحولة في اللانهاية، هذه القوة المجهولة؟!!

وربَّ قائل إنَّ الإنسان دائم الشوق إلى معرفة المجهول، وهذا صحيح، على أنَّ الشوق إلى معرفة المجهول لا يلزم العقل البشري إلاَّ عندما يقتنع الإنسان بأن إدراكه الحسي للعالم الخارجي لا يكشف له حقايق الأشياء التي يراها ويلمسها، ويضطر إلى الاعتراف بأن إدراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته، ولكن الجاهل لا تمر في خاطره أية شبهة بشهادة حواسه الذاتية، ويعتقد كل الاعتقاد أنَّ الأشياء التي يراها ويلمسها هي الحقايق بعينها.

ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد؛ لأنَّ نظريته في مبحث المعرفة تمثل أخط دركة من المادية التافهة؛ ولأنَّه يصر على إدراكه ما لا يدرك — بل يحس — على إدراكه الحقيقة المطلقة، ورؤيته إياها من وراء المظهر المتحول في الحياة.

كيف نستطيع إدراك ما لا يُدرك بل يُحس؛ لنُقَيِّده في دائرة ضيقة من اصطلاحاتنا البيانية، ثم نوزعه مذاهب وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته؟ أليس من الخرق أن نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكنائية، لغة الروح، لغة الحس الوجداني العميق؟!

وقد يعمد بعض هواة النظريات إلى تحديد الشعر بالطريقة الفلسفية، وفي هذا دليل على شك هذا البعض في الشعر نفسه: في جوهر الحياة؛ فالمرء لا يلزم جانب التفلسف إلا عندما يخالجه الشك، مززع الاعتقاد بمطابقة المدارك الحسية لحقيقة الأشياء المدركة، وهذا الشك الفلسفي ينم في حد ذاته على الاعتراف بعجز الوسائل العلمية وقصورها، وهذا الاعتراف يرغمنا في نهاية الأمر على التسليم بأننا لن نتمكن من معرفة حقايق الأشياء بوسائلنا المحدودة، وأن ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص ... وعندئذ يصبح المجهول في نظرنا السر الغامض؛ أي الحد الأخير الذي يقف عنده الذكاء البشري. هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية عندما تصدر عن الشك، لتخلص إلى الشوق لمعرفة المجهول. وإذا أضفنا إلى هذه البيانات التأثير المخيب لتقلب الحياة في هذا العالم، ندرك في الحال أن من العبث والجهل الضائع التشبث في البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلب، وعندئذ يغمرنا هذا الإدراك بكآبة عميقة، فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميق الذي يستولي عادةً على الشعراء.

إذن ثمة حقيقة غامضة من العبثِ البحث عنها لتحديدها، وقد قال الأب بريمون: «إن كل قصيدة مدينة بطابعها الشعري لتألق هذه الحقيقة الغامضة». وربما أراد الأب بريمون أن يعني بهذه «الحقيقة الغامضة» الوحي، وهو في ذلك لم يجئ بنظرية، بل عبر عن شيء يجهله ولكنه يشعر به، خلافاً لبول فاليري الذي تعمد الإتيان بنظرية عندما قال: «إذا آمن الشاعر بالوحي، قتل الإبداع.»

فإذا كان الوحي حالةً من حالات النفس عند تأثرها المباشر بقُدرة خارقة، وشئنا أن ننكر هذه الحالة، أنكرنا جوهر النفس ذاته؛ أنكرنا مبدأ الحياة. وأية غضاضة على الشاعر أن يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة؟ فالأنبياء كانوا يتسقطون كلام الله، والقدرة الخارقة ليست منفصلةً عن الإنسان؛ فهي جوهر نفسه، فإذا أرسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة، واجترت عيناه مشهداً من مشاهد هذا العرض، ثم خبزه على نار هذا الجوهر؛ فيكون قد أعطاك من نفسه، والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالإنسان. فإذا كانت النفس مفضورةً على الصفاء، وتهيات لها العوامل الثقافية المكتملة،



تنقي الشعور من أدراجه، وتقوم بهذا العمل من تلقائها، فلا تكلفك إجهاذاً ولا تعملاً ... شأن المعدة الصحيحة تهضم الطعام، وتتولى توزيع الدم النقي في الجسد وإخراج الفاسد منه.

قلت إنَّ القدرة الخارقة ليست منفصلةً عن الإنسان؛ فهي جوهر نفسه، فعلى هذا الجوهر تنصهر المرئيات، وتشتبك في هذا العمل جميع الحواس؛ إذن فالقدرة الخارقة التي يتأثر بها الشاعر هي نفسه، والنفوس قوة لم يُدرك كنهها لتحَدُّ، فكيف ننفي الوحي الشعري ما دامت النفس مصهر الشعور؟!

ويقول فاليري أيضاً إنَّ الشاعر من يستطيع النظم ساعة يشاء، وليس الشاعر وقفاً للمصادفة، وإنه لمن الخطل القول بأن الشاعر منفعل لا فاعل، ومتسقط ما يُلقى عليه. كأنني ببول فاليري يريد أن يُنزل الشاعر منزلة النجار أو الحداد يقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل أو ساعة يريد العمل، فيكون فاعلاً لا منفعلًا، وهذا أبعد حدود الخطل وامتهان فاضح لجوهر الشعر، وأيان هو هذا الشاعر الذي يصطنع العاصفة اصطناعاً ليعطيك كل ساعة إنتاجاً، كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتفق عليه؟! أيان هو هذا الشاعر الذي لا يتأثر بما حوله ومن حوله، فلا هجر حبيب يؤثر فيه فيحرك شعوره، ولا موت صديق أو صديقة ولا نكبة عزيز، ولا كارثة أمة ولا فرح شعب، لا الظفر ولا الانكسار، لا الذل ولا الكرامة، لا ربيع الطبيعة ولا شتاؤها، لا صيفها ولا خريفها؟!

وأية غضاضة على قريحة الشاعر، إذا هي مرَّت بساعات خدر؟ أفيكون الشاعر ملتزم أشغال في يده مقياس الزمن لإنجاز عمله؟! ألا يتفق للقريحة أن تمر في ساعات خدر، فلا ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية، ولا تحس ما تحسه في ساعات التأثر والانفعال؟ وإلا ففيم لا يترك الشعراء من الروائع إلا ثلاثاً أو أربعاً، لا تسليخ من العمر أكثر من سنة؟ قال أحد الشعراء الخالدين: إذا أُحصي الوقت الذي وقفته على نظم قصائدي، فلا يعدو تسعة أشهر.

وقال فاليري أيضاً: إنَّ الشاعر الموهوب من يختار اللفظة الصالحة لإحداث الرعشة النفسية وإحياء العاطفة الشعرية.

على أن الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة؛ فله من شعوره الزاخر ما يصرفه عن هذه الألهية، وعندني أنَّ الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل، وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزأ، وقد ما تكون ثقافة الشاعر من الرقي والذوق الموسيقي في روحه يكون

البيان راقياً في شعره، وهذه اللفظة التي يريدنا بول فاليري على أن نختارها تتكاتف العناصر الروحية فينا على اختيارها، فلا تكلفنا هذا العناء، أو تصرفنا عما تراه بصائرنا خلال الأحلام والرؤى، فكل ما يكتسبه المرء يصهره جوهر نفسه — القدرة الخارقة — فيصير عضواً فيه.

سوى أن فاليري ما لبث أن نقض نظريته في الوحي الشعري في محاضرة له عن «إلهامات البحر المتوسط»، وفي هذا دليل على فساد النظريات في الأدب؛ فقد وصف الشاعر الفرنسي الزوارق الماخرة عباب بحر الروم والجيف الحمراء، تتركها الأسماك المقبورة، وأهرام البرتقال المصدّر من إسبانيا، ودلل على إقطاعات الروح البشرية والأساليب التي تتكون منها هذه الإقطاعات، وعلى تطور النور الناشئ والسماء والشواطئ، وأثر هذه المشاهد في روحه.

وشاء أن يحدثنا عن جميع العوامل والمؤثرات التي كان لها الفضل الأكبر في تكوين مخيلته وإحساسه، فأخبرنا أن جمال البحر جذبه في صباح يوم، وفيما هو يغتسل ويمتع الطرف والروح بتموج النور على سطح الماء، إذا بمشهد تقزُّ له النفس يعترض نظره؛ فقد رأى على مقربة منه، في قعر الماء الصافي الشفاف، أشياء حمراء بلون الورد الخفيف أو الأرجوان العميق، وعلم بكثير من المقت أنها كتل فظيعة من أحشاء الأسماك التي طرحها الصيادون في البحر، ولم يَفَوْ على الهرب مما رأى، ولا على تحمُّله؛ لأن عاملين في نفسه كانا يتنازعان الشعور بالجمال الحقيقي الغريب في فوضى هذه الألوان الأصلية، وفيما هو مستسلم إلى المقت والرغبة في الاستفادة، يتقاسمه عامل الهرب وعامل التحليل، كان يفكر فيما يستطيع استنتاجه من هذا المشهد، ثم انتقل بالفكر إلى ما في شعر القدماء من الوحشية والدم، وتذكر أن الإغريق ما تورعوا عن وصف أفظع ما تقع عليه العين ... وأنَّ الأساطير الإغريقية وشعر الملاحم والمآسي طافحة بالدم، ولكن الفن أشبه ما يكون بسطح الماء الصافي الذي رأى خلاله تلك الأشياء الفاحشة.

وانتقل بول فاليري إلى الدور الذي مثله البحر المتوسط، بما اتصف به من الخصائص المادية في تكوين الفكر الأوربي الذي حرر العالم البشري بأسره، ومما قاله إنَّ طبيعة البحر المتوسط والعلاقات التي قررها أو فرضها كانت أساس التكوين النفساني والفني، هذا التكوين المدهش الذي استطاع ببضعة قرون أن يميز الأوربيين من سائر الخلق، والزمَن الحاضر من الأزمان الغابرة، فأقوام البحر المتوسط هي التي خطت الخطوات الأولى الواثقة؛ لإيضاح الأساليب والبحث عن الظواهر الطبيعية باستخدام قوى الفكر.

وبعد أن وصف الشاعر مواقع البحر المتوسط ومزاياه الطبيعية، انتهى إلى القول بأن إبداع الشخصية البشرية ورفعها إلى مستوى من الرقي والتطور الأكمل، كانا من مبتدعات هذه الشواطئ، ويتضح لنا من هذا أن فاليري أصبح مؤمناً كل الإيمان بـ «الوحي الشعري»؛ بدليل أن البحر والشمس والسماء هي مصدر تكوينه وتثقيفه، وأن طبيعة البحر المتوسط كانت أساس التكوين النفساني والفني الذي ميز الأوربيين من سائر الخلق ...

ولن أعمد هنا إلى مجادلة هذا الرأي في تمييز الأوربيين من سائر الخلق؛ فلكل في تمييز عنصره مدلول يخالف به الآخر؛ بل أقصر الكلام على الوحي الشعري من غير أن أذهب مذهب العرب القدماء في أن الوحي يُلقن من فم شيطان، وأن الشياطين تسترق السمع وتلقيه على الألسنة.

فالوحي يتولد «على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة النور في النفس» — على حد قول المسعودي — وأضرب مثلاً على ذلك هذا الغدير الصافي؛ لا تشقى العين في رؤية السماء وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره، كأن هذه السماء وما عليها هاتف في أعماق نفس الغدير، وللطبيعة الحكم المطلق في تصريف النفس البشرية، وأثرها الكامل في الحس، وليس في المبروءات النفسية والجسدية ما لا تحكمه الطبيعة.

وفي الطبيعة أسرار لطيفة لا يدركها الحس مهما دق، بل يشعر بها إذا قويت النفس، والنفس مهما قويت لا تستطيع قهر الطبيعة لاقتناص سرها اللطيف إلا إذا تجردت من أدران هذا العالم، وهذا مستحيل.

إذا تجردت النفس من هذه الأدران بلغت النسبة النورانية الكاملة، بلغت مستوى الطبيعة، بلغت ذات الله، والنفس النقية هي الله.

على أن للنفس هنيهات تصفو فيها، فينعكس عليها من الطبيعة جمال محبوب، وهذا الجمال يهتف في النفس أسراراً تنطق لسان الشاعر الثقيف بمعان شريفة، وعبثاً نحاول معرفة هذه الأسرار، فهي من الغموض واللفظ بحيث تدق على أذن حس، ويكفي أن نسمع من هذه الأسرار ما يُنطق ألسنتنا، ويفتح أذهاننا لمشاهد نراها بأب العين.

وربما أراد الأب بريمون بقوله: «إنه لا حاجة لفهم معنى الشعر، فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثر في النفس تأثيراً مباشراً»، ربما أراد بقوله هذا أن يعبر عن تأثير النفس بانعكاس الجمال المحبوب في الطبيعة عليها، ويظهر أن هذا الجمال الغامض إنما هو موسيقى الطبيعة، تعزف على أوتار النفس معزوفات غامضة من نوع ذلك الجمال.

على أن هذا، وإن يكن حقيقياً، لا ينبغي جعله أساساً للشعر؛ فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كله، وهذا العنصر غامض ككل شيء يُسمع ولا يرى، ومن الخرق الفاضح أن

نكتفي من الشعر بموسيقاه، ونقدم فيه وصف ما لا يوصف على سائر عناصره؛ فللشعر عناصر متساوية يجب أن تجري كلها في حلبة واحدة، فلا تنحط الفكرة عن الموسيقى أو الصورة عن الفكرة.

ومن الخرق أيضاً أن نتخذ الشذوذ قاعدةً للشعر، فنذهب مثلاً مذهب الأب بريمون القائل: إنَّ الشعر الجميل يخلو أحياناً من المعنى، أو إذا انطوت أجزاءه على معنى لا ينطوي عليه في مجموعه؛ فالشعر إذا اقتصر على الموسيقى لا يلبث أن يُشيع الملل حتى في الأذن، ولا بدَّ هنا من القول إنَّ الشعر يرافق جميع وجوه التفكير؛ فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة ولا ينحط عن الشعر، على أن هذا الشاعر ليس بأبي العلاء المعري مثلاً؛ فأبو العلاء يقتحم الفلسفة في شعره، فيناقش فيها كالمعلم العالم، ولا يلزم المزاج الفني فيلمع إلى الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع أنواع المجازات والاستعارة والرموز، بحيث يحدث التأثير النفساني المنشود.

وقد يطرق الشاعر أيضاً باب الزراعة ولا ينحط عن الشعر؛ كما فعل فرجيل في «الجيورجيات»؛ فقد نظم هذا الشاعر قصيدته هذه ليحمل الرومانيين على تعشق الأرض نزولاً على رغبة أوغسطس، على أنه سير معارفه الزراعية في موكب من الألفاظ الموسيقية، حمَّله من عذوبة الحنان ورائع الوصف ما أدرج قصيدته في عداد الروائع الشعرية الخالدة. وما أقوله عن فرجيل أقوله عن جميع الشعراء الأقدمين والمتأخرين، الذين استخدموا مواهبهم لاكتشاف كنوز الطبيعة والحياة، فالطبيعة هي قيثارة الشاعر، وعبثاً يحاول الشاعر البحث عن أوتاره في غير هذه القيثارة، والشاعر الحقيقي هو تاريخ عصره ملحنًا؛ فلولا الشعر ما عرف تاريخ العرب في الجاهلية، ولولا ما عرف تاريخ الفروسية والكرامات في الرومان، ولولا ما عرف تاريخ الإغريق، ولما أراد الكاتب الفرنسي إتيان باسكيه وضع كتاب عن الحياة الوطنية في القرون الوسطى، اضطر إلى قراءة الملاحم الشعرية Les chansons de geste.

قرأت أخيراً مقالاً للكاتب الفرنسي إدمون جالو عن شاعر عظيم من شعراء القرن الثاني عشر يدعى شوتا روستافيلي، عاش تحت السماء التي أظلت الفردوس الأرضي، وجبل أارات الذي وقف عليه فلك نوح، يقول إدمون جالو إنَّ لهذا الشاعر الذي اكتُشف أخيراً قصيدةً أو ملحمةً رائعةً، هي أمدوحة للإنسان كما كلفته أواخر القرون الوسطى، في قوته، وشعوره بالشمم والعدل، وسذاجته على عتبة الانبعاث، قال: «حالمًا نقرأ هذه القصيدة «إنسان في جلد نمر»، نقع في زهول حيال هذه السكرة الشرقية، ذلك أننا

— نحن الغربيين المساكين — فقدنا عادة التشنج الكلامي، ونكاد نختنق في هذا الجو من البخور والألوان.» ونحن الشرقيين فقدنا بدورنا ذلك التشنج الكلامي، ونكاد ندوب في هذا الجو من البخور والألوان الغربية، هذا الجو الذي اجتاحت غيومه السامة بلدان الشرق مندفعاً بقوة الاجتياح السياسي.

وإني لأتساءل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق، هذا القاموس المستورد نتشبت فيه للتعبير عن أعمق حقايق النفس، فنرفع الكلفة بيننا وبين اللغة، ولا نتورع عن سلوك مهامه غائمة كأننا في حلم؟ وقد يخيل إلينا ونحن نسلك هذه المهامه أننا نسير في الطريق الشعري السوي، بينما نحن في الحقيقة لا نحاول إلا الخروج عن أنفسنا، مستعبدين لنظريات خاطئة، بل مضرّة تحرر منها حتى مبدعوها أنفسهم؛ فبول فاليري، الذي جاءنا بمشاريع نظريات خلقت في الأدب العربي جيلاً مضعضعاً، لم يحد عن صراط ماليرب، ولم يتمرد على القاعدة الكلاسيكية في النظم. وإني لأجد في شعر فاليري أبياتاً كثيرة يُستطاع دسها في شعر لامارتين، كما أنني أجد في شعر البرناسيين، أمثال غوتيه وبودلير، ما يُستطاع نسبته إلى شعر أعدائهم الرومانطيين؛ كلامارتين وهوغو وفينيي، وشعر الرمزيين؛ كفيرلين ومالارمي.

قلت في مستهل هذا الحديث إني لا أكتب هذه المقدمة لأحدد الشعر، أو لأجيء بنظرية أتعصب لها، وأعلن لأجلها حرباً؛ بل أكتبها لأرد صادراً إلى مصدره، لأرد الشعر إلى الطبيعة أمه، فمنذ اليوم الذي تأزمت فيه المشادة بين أدباء الغرب، وطلعت وحوش النظريات من أوجارها، يكثُر بعضها في وجه البعض الآخر؛ التوى الشعر عن قصده، وأصبح زياً يتلون بتلون الأهواء، ولكن النفس لا تخطئ؛ لأنها معكس ومصهر لحقايق أبدية هي الطبيعة والحياة، ففيما المدارس الشعرية منصرفاً إلى التطاحن، إذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الفرضيات الزائلة إلى المصدر الأبدي؛ فرأينا بودلير البرناسي يصدر عن نفسه ويلتقي فرلين الرمزي على صعيد واحد، ورأينا جميع الشعراء الحقيقيين من زعماء المدارس يتفلون في الأودية المظلمة، ويجتمعون أنقياء على قمة واحدة هي الشعر. فالمدارس الشعرية سجون ونظرياتها قيود، والشاعر لا يعيش في جو العبودية هذا، فالطبيعة هي جوه الفسيح تتكيف إحساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه، وإذا خرج الشاعر من هذا الجو خرج من نفسه وكذب على نفسه.

إلياس أبو شبكة



## شمشون

مَلَّقِيه بحسَنك المَأجورِ  
إِنَّ فِي الحسَن - يا دَلِيلَةَ - أفعَى  
أَسكُرْتُ خدعةَ الجَمالِ هِرَقَلًا  
والبصيرِ البصيرِ يُخَدَعُ بالحُسِّ  
مَلَّقِيه فالليلِ سكرانِ واه  
ونسورِ الكهوفِ أو هنها الحُبِّ  
وعنا الليثِ للبوءِ كالظَّبِّ

وادفعيه للانتقام الكبيرِ  
كم سمعنا فحيحها في سريرِ!  
قبلِ شمشونِ بالهوى الشريرِ  
من وينقاد كالضربِ الضربِ  
يتلوى في خدره المسحورِ  
بُ فهانت لديه كالشحرورِ  
في فما فيه شهوة للزئيرِ

\* \* \*

شبقِ الليثِ ليلَةَ فتنزَى  
تقطرِ الحَمَّةُ المسعرةُ الشَّهْ  
يضربُ الأرضَ بالبرائثِ غضبا  
ووميضِ اللظى يغلِّفُ عينيَّ  
ونزا من عرينه تتشظى  
واللهاتِ المحمومِ من رثتيه  
فسرى الذعرِ في الذئابِ ففرتُ  
فانشقي فورةَ الحرارة من جسِّ  
تنضح اللذَّةُ الشهية منها  
فَتَنِبْتُ العبيرِ في مخدعِ الليثِ

ثائراً في عرينه المهجورِ  
هَاءُ منه كأنه في هجيرِ  
ن فيصدي القنوطُ في الديجورِ  
ه فعيناه فَوَهَّتَا تنورِ  
حممٌ من لظاه في الزمهيرِ  
يشعلُ الغابِ في الدجى المقورِ  
وترامى إلى عشاها النسورِ  
من تردت من كهفها المخدورِ  
خمرةٌ من جمالها المأثورِ  
ل فتشهى حتى عروقُ الصخورِ

فتلاشى اللهب في سيد الغا  
والعظيم العظيم تضعفه أنـ  
ملّقيه ففي أشعة عينـ  
وعلى ثغرك الجميل ثمار  
ملّقيه فبين نهديك غامت  
هوة أطلعت جهنم منها  
ملّقيه ففي ملاغمك الحمـ  
يسرب السم من شفافتها الحزـ

ب أمير المغاور المنصور  
ثى فينقاد كالحقير الحقير  
ك صباح الهوى وليل القبور  
حجبت شهوة الردى في العصير  
هوة الموت في الفراش الوثير  
شهوات تفجرت في الصدور  
مر مساحيق معدن مصهور  
رى إلى ملمس الردى في الثغور

\* \* \*

خيم الليل - يا دليلة - في الغاب  
فانشقي فورة الحرارة من جسـ  
أنت حسناء مثل حية عدن  
وكغفر الوعل الوديع وإن كـ  
لست زوجي بل أنت أنثى عقاب  
فاشتهي كل ليلة مخلبي الدأ

وأغفى حتى الشذا في الزهور  
مي وغذي قواك من إكسيري  
كورود الشارون ذات العطور  
ت تناجين عقرباً في الضمير  
شرس في فؤادي المسعور  
مي على خز جسمك المخمور

\* \* \*

وأتى الصبح ضاحك الوجه يرغي  
أين شمشون يا صحاري يهوذا  
أين قاضيك دافع الضيم طاغي الـ  
أعورت شهوة من الحب عينـ  
إن قاضي المستعبدين لعبد

زبد النور في ضحاه الغرير  
أين حامى ضعيفك المستجير  
مستبدين صائن الدستور؟  
ه وكم أعور الهوى من بصير!  
وقضاة عور قضاة العور

\* \* \*

حفلت قاعة العقاب بجمع  
هم رموز الشقاق والفتن الحمـ  
أقبلوا يشهدون مصرع شمشو  
بؤرة تعبق القذارة منها

من سراة المُسَوِّدين غفير  
راء والغدر والزنى والغرور  
ن على لذة الطلا والزمور  
سُتَّرت بالشفوف والبرفير



ك ويقضي الفجور ذنب الفجور؟  
 ل لتقديس ساعة التكفير  
 رة فانسل من شقوق الخدور  
 يتحدى صوت العقاب الأخير  
 ر على مشهد من الجمهور  
 من تلوي قوامها المحرور  
 أم تراها اختلاجة في الخمور؟  
 ه بشتى مطاعن التحقير:  
 ديق يا عبد يهوه المقهور  
 شعره قينة من الماخور؟»  
 حل فيه روح الإله القدير  
 ل ودوى كنافخ في صور:  
 ء إلهي ويا جهنم ثوري  
 ري وأغرق نسل الريا في سعيري  
 بي فكم مرة مصصت قشوري  
 تحت رجلك كالجحيم النذير  
 ما سمعت الفحيح في المزمور  
 فاطرحيه سخرية للحمير  
 واليواقيت رمز كل غدور  
 فالبرايا مطية للشرور  
 داء - مهما قدرت - شهد قفير  
 شبخ الرق لم أسلمك نيري  
 ني وكوني أسطورة للدهور  
 فلتضى في الحياة حكمة نوري  
 في ضلالي فقوتي في شعوري

أيدى الخاطي جناة صعاليد  
 وسرت خمرة الوليمة في الحف  
 وكأن النسيم شوق للخم  
 ولنقر الدفوف صوت غريب  
 وإذا قينة تخالجهما السك  
 فتثنت تضاجع الجو نشوى  
 رقصة الموت - يا دليلا - هذي  
 وصغا الجمع للأسير ينادي  
 «هيه شمشون أيها الفاجر الزن  
 أحكيم من العتاة تذرّي  
 فتلوى شمشون في القيد حتى  
 فنزا نزوة الوميض من الغل  
 بددي يا زوابع النار أعدا  
 وتنفس يا موقد الثأر في صد  
 وامصصي يا دليلا الخبث من قل  
 وارقصي إنما البراكين تغلي  
 وتغنّي بمصرعي فكثيرا  
 أصبح الليث في يدك أسيرا  
 واجعلي الغل رمز كل صريح  
 إن أكن سقت في غرامك شرا  
 غير أني أجني من الجيف الجز  
 هيكلا الإثم لم أبخ لك ذلي  
 فاسقطي يا دعائم الكذب الجا  
 محق الله في شر ظلامي  
 إن تكن جزت الخيانة شعري



## القاذورة

لذائذ أحلامي ولا كان لي غدُ  
وهل في الورى أذنُ إذا قمت أنشدُ  
كأنِّي روحٌ في جُثامٍ مشرَّدُ  
كوابيس في يقظاتنا تتسرَّدُ  
على بابها لوح من الرق أسودُ  
يروعك منها اثنان «سجن مؤبَّدُ»  
يعربد والأرجاس ترغي وتزبدُ  
كأن الورى مستنقع يتنهَّدُ  
وفي كل جفن لي من الهدب مبردُ  
أصابع من عظم وتصبغها يدُ  
إذا علقتُ فيها النواظر تجمدُ  
تمور بها الديدان سكرى تعربدُ  
تغني وأصداء القبور تردُ  
بكيئ عليهم في جحيمي وعيدوا  
لريح الفنا، إلا جحيم مرمدُ  
تشبُّ لها في شهوة الطين موقدُ  
نمت حشرات فاجرات توقدُ  
على فمها الوردي للإثم موردُ

حلمتُ بدنيا ليتهها لا تُبددُ  
أضن بإنشادي على الناس سحرها  
وأوقظت مذعورًا إلى شر هاجس  
نفيق من الحلم الشهوي إلى رؤى  
فألفيتُ دنيا من فواجعها الورى  
قرأت عليه أحرفًا خطها اللظى  
فطوفت في غمر من الليل والخنا  
وللحماء الغالي نشيخ ورغوة  
وأغمدت في صلب الدُّجنة ناظري  
فأبصرت أطباقًا تعمدها يدُ:  
صباغ يفور الخزي منه ملاصقًا  
وشاهدت في الأطباق مفسدة الورى  
مقازرُ تمشي في الحياة طروبةً  
هم الناس في الدنيا تهاويل حنطتُ  
وما هذه الدنيا، يذرى رمادها  
تلاشت به النيران غير بقية  
ففي طبق مستنقع في صقيعه  
نساء أقلت في الصدور مراضعًا

فما روحها إلا عجوز تقوِّدُ  
 على ما بها من شهوة النار تجلِّدُ  
 جمالك محذور وعدنك مُوصدُ  
 وكان لشعري منك ما يتجوِّدُ  
 يضم طنابير الجحيم وينشدُ  
 ففي قلبه النور للحب مزوِّدُ  
 وليس يرى إلا جحيماً يهددُ  
 وللأفق وجهٌ هابط الغيم أربدُ  
 صدى الجن في وادي الجحيم يزغردُ  
 جمالٌ له في قبة النفس فرقدُ  
 فلا عشبَةٌ تنمو ولا غصنٌ ينقدُ  
 خليئاً يغني أو هزازاً يغردُ  
 فتؤثر أوجار الظلام وتلبدُ  
 وينهي بأيديهم ضمير مدوِّدُ  
 وفي روحهم سيف الجحيم مجردُ  
 وإن ندَّ من أغلالهم فهو ملحدُ  
 إذا غار فيها سيد بان سيدُ  
 فسيدهم - هول الصعاليك - مجلِّدُ  
 صباغاً على شسع الغزاة ويسجدُ  
 يُنكِّرها وهج الجناح فتمردُ  
 توأبيت يطليها لُجَيْن وعسجدُ  
 وليس لها في مسلك الجو مقوِّدُ  
 لأنسرها، لا للصراصير، مصعدُ  
 يواقيت في تيجانهم وزمردُ  
 يُنَاط بهم من نسل عبقر سؤددُ  
 فلم يبق للوجدان فيهن مولدُ!  
 ومغناك في متن السماك مشيدُ

عواهر أفنت في الفجور شبابها  
 مرضعها فطساء فهي ضفادع  
 وداعاً عذارى الحب في خيم الهوى  
 فقدت حتى في أغاني مزهري  
 ألا أغلقي الفردوس في وجه شاعر  
 لئن تك نار البغض تلظى بعينه  
 يحس فراديس الحياة بروحه  
 كما يثبت الصفصاف في عاصف الدجى  
 وللريح في الغابات زعق كأنه  
 كذلك يبقى في دجى النفس ثابتاً  
 وفي طبق وادٍ تكدر ماؤه  
 ولا تسمع الأرواح في شعفاته  
 فثمة جردان ترى النور آفة  
 ملوك يقاضون النفوس إلى السما  
 على فمهم سفر السماوات مشرع  
 إذا ما لحاهم مؤمن فهو فاجر  
 وثم خفافيش مواليد بؤرة  
 سلاطين حفت بالسياط عروشهم  
 ترى منهم العاتي يقيء نخاعه  
 وثم جرادات عطاش غوارث  
 محبِّرة الأردن مفعوجة الحشا  
 لها في مقاصير السماء مطامح  
 تفرش فيه وقح الوجه والسما  
 قياصرة عور الملاحم زيفت  
 مجانيين تستاف البلى من خيالهم  
 مواليد فردوس أراغوا نفوسهم  
 عذيرك من نور الفراديس عبقر

وتشعل في عينيك نار نقيّة  
وصدغك مدهون بزيت مطهر  
رأيتك تمشي في المساخر شاعرًا  
وروحك ممسوخ ونورك زاهل  
وشاهدت أشباح السماء كئيبَةً  
ففيم أزغت النفس عن نهج قدسها  
بمقدسها طيف السماء مجسّد  
وبالبلسم الشافي هواك مضمّد  
وتاجك محطوم عليك مكمّد  
وشعرك بالغل الدنيء مصفّد  
عليك بأسواط الأراجيف تطرد  
فصارت مغارًا سافلًا وهي معبد

١٩٣٤



## الأفعى

أجيبه أني ما أزال مقرَّبًا  
وأنِّي لم أنسلَّ في سرِّب الدجى  
ولم أعشَّ أخدام النساء من الكوى  
وما رغت من زوج فدارجته على  
فلما قطرتُ الصدق خبيثًا بصدرة  
بنفسي إلى نجم يقال له الشعري  
بغاءً لألقيه على دَعري سترًا  
فأجعل سيِّين المغارة والخدرا  
ولائي وفي هذا الولا بغيةً نكرا  
قطرت له في نسله قطرةً أخرى

\* \* \*

أقول لها أعراق زوجك لم تزل  
ولم يبرِّ إحساس الرجال بصدرة  
أقول لها ثوبَ العفاف تذكري  
لبستِ رداء العرس أبيضَ ناصعًا  
وفي قلبه عطفُ الأبوة لم يبرى  
فحك يجرى منه في الجهة اليسرى  
ففي ساعة الإكليل لم يك مغبرًا  
فمن أين جاءت هذه اللطخة الحمرا؟

\* \* \*

رسائلك الحمقاء أصبحن في يدي  
لقد أيبس التكفيرُ أزهار عهرها  
لقد ندمت، لكن سترجع، إنني  
ستملكها ما شئتَ بعدُ فلا تخف  
شفاهك حتى تبرز الأعظم الصفرا  
لتجعلها للموت مصلاً فيجتراً  
أعيدك بالشيطان من هذه البشرى  
فسلمتِ المجنون أحلامك الخضرا  
لمحت عليها من ندامتها طمرا  
وتمتصها حتى تصيرها قشرا  
ستمزج بالسم الذعاف دماءها

وترمي بها في حمأة الويل والخنى  
أجل سيراك الليل بعدُ تضمها  
وسوف ترى فيك المآثم نعمةً  
ستملكها ما شئت بعد فلا تخف  
صغير بريء العين يرضى بلعبة  
ينام ولا يدري بأن سخافةً  
سقاطة عار تلهم الخوف والذعرا  
ويبصرك المصباح تعصرها عصرا  
قد التصقت في بطنها حية سمرا  
فإن ابنها لَمَّا يزلُ يجهلُ الأَمرا  
فيرقد مغبوطاً بذى الهبة الكبرى  
تلهى بها كانت لموبقة سعرا



## في هيكل الشهوات

ما لي أرى القلب في عينيك يلتهب! أليس للنار - يا أخت الشقا - سبب؟  
بعض القلوب ثماراً ما يزال بها عرف الجنان ولكن بعضها حطب

\* \* \*

ذكرت ليلة أمس فاختلجت لها والليل سكرانٌ مما سحّت السحبُ  
ذكرتها غير أنّ الشك خالجنِي: إنّ النساء إذا راوغن لا عجبُ  
فهن من حية الفردوس أمزجة يثور فيهن من أعقابها عصبُ

\* \* \*

أخاف في الليل من طيف يسيل على موجات عينيك حيناً ثم يغتربُ  
طيف من الشهوة الحمراء تغزله خمر الليالي وفي أعماقه العطبُ  
ووجهك الشاحب الجذاب تُرهبني ألوانه يتشهى فوقها اللهبُ  
ما زلت تغتصبين الليل في جهد حتى تجمد في أجفانك التعبُ  
وما السواد الذي في محجريك بداً إلا بقايا من الأحشاء تُغتصبُ  
وحق طفلك لم أشمت بإمرأة زلت بها قدم أو غرّها ذهبُ  
فربّ أنثى يخون البؤس هيبتها والبؤس أعمى، فتغياً ثم تنقلبُ

\* \* \*

لي مهجة كدموع الفجر صافية نقاوتي والتقى أمّ لها وأبُ  
فكيف أختلس الحق الذي اختلسوا؟! وكيف أدأب عن لؤم كما ذئبوا!؟

فلا يخالجنني روغ ولا كذب!  
 ولم يزل في دمي من روحها نسبُ  
 بي الليالي وأصمّت قلبي النوبُ  
 ومر طيفك مرّ الطهر والأدبُ  
 سؤال العفاف وفي أجفانه لعبُ  
 أما السكارى فهم أبناؤه النجبُ  
 يوماً ففي كل عام ينضج العنبُ!  
 موج الشباب على رجلك يسطخبُ  
 خمر الليالي – فقلبي ليس ينشعبُ  
 وأقرب الإثم لكن لست أرتكبُ  
 وتهرمين ويبقى ذلك الخشبُ  
 تشرب سوى الخمر واشحب مثلما شحبوا  
 وليس إلا لمن ينشئ بها الغلبُ  
 مع الجدود الأعفاء الألى ذهبوا  
 فكل أمر له في حينه خطبُ  
 من الملهذات ما الآثام تنتخبُ  
 والعصر سكران يا أخت الشقا تعبُ  
 وحلمه الشهوات الحمر والقربُ!

لي ذكريات كأخلاقي تؤدبني  
 أبقى لي الأمس من غلواي عفتها  
 وحق روحك يا غلوا ولو غدرتُ  
 إن كنت في سكرة أو كنت في دعر  
 وأنت يا أم طفل في تلفته  
 صبّي الخمر فهذا العصر عصر طلا  
 لا تقنطي إن رأيت الكأس فارغة  
 صبّي الخمر ولا تبقي على مهج  
 أما أنا – ولو استسلمت أمس إلى  
 قد أشرب الخمر لكن لا أدنسها  
 وفي غد إذ تنير الطفل ميعته  
 قلبي له جئت في عصر الخمر فلا  
 قلبي له هذه الأيام مهزلة  
 قلبي له عفة الأجساد قد ذهبت  
 قلبي لطفلك ما تستصوبين غداً  
 ولكن اليوم صبّي الخمر وانتخبي  
 ولا تخافي عدوياً فالعدول مضى  
 طريقه الشك أنى سار يملكه

## سدوم

فاسقي أباك الخمر واضطجعي معه  
ما تذكرين به حليب المرضعة  
وازني فإن أباك مهد مضجعه  
كم جدول في الأرض راجع منبعه!  
جرثومة من نار المتدفعه  
لعبت به الشهوات فجر أضلعه  
أورثتها نار الذراري المزمعه  
خلع على لهب الشباب موزعه

مغناك ملتهب وكأسك مترعه  
لم تُبق في شفتيك لذاتُ الدما  
قومي ادخلي يا بنت لوط على الخنى  
إن ترجعي دمك الشهي لنبعه  
لا تعبئي بعقاب ربك إنه  
في صدرك المحموم كبريت إذا  
في صدرك الدامي مناجم للخنى  
فبكل صقع من ضلوعك قسمة

\* \* \*

حمراء في شهواتك المتشرعه  
سكرى محطمة عليه مزلعه  
قلبي وأجفاني رؤك الموجهه  
كانت نواضر في الفصول الأربعة  
ومن السماء طيوبها المتצועه  
بصفاء عدن لا تزال مبرقعه  
فيها ومن صلوات حواء دعه  
بأجنّة الزهر الندي مرصعه  
يلقى عليها كل طير مخدعه

إيه سدوم بُعثت من خلل اللظى  
في كل جيل من لهيبك سنّة  
عقت بي الذكرى إليك فأشعلت  
شاهدت من خلل اللهب حدائقاً  
نشقت من الفردوس عبقة سحره  
خضراء طاهرة الغراس كأنها  
وكان من تكفير آدم نفحة  
ورأيتُ غدراناً مراضع تربة  
ومراوح الفجر الجميل على الذرى

ورأيت حورًا في شفوف زنابقٍ      بيضاء من لبن الجنان مشبَّعةً  
نفخ الصبا بنهودها فتكورت      وتبسمت عن وردة مترفَعُه

\* \* \*

ماذا فعلت، سدومُ، أين جوازبُ      كانت على تلك الخدور مجمعةُ؟  
فيم استحال لبانك النامي إلى      خمر بكاسات الفجور مشعشعةُ  
ذويتُ خمرك لا ليصبح طاهرًا      لكن ليستهوي النفوس فتجرعهُ  
وجعلت غرغرة الأفاعي كأسه      ليذوق منها كل قلب مصرعهُ

\* \* \*

سكرت بك الدنيا سدوم فكلها      زمرُّ على طرق الحياة متعتعهُ  
وأثرت حنجرة الفجور فأطلقت      حممًا على نغم الجحيم موقَّعهُ  
أغنيَّة حمراء أنشدها الخنى      مزقًا على أوتارك المتقطعهُ

\* \* \*

أسدوم هذا العصر لن تتحجبي      فبوجه أمك ما برحت مقنَّعهُ  
كانت منكرة كوجهك عندما      هبت عليها من جهنم زوبعهُ  
قذفتك صحراء الزنى بحضارة      ثكلى مشوهة الوجوه مفعَّعهُ  
بؤر مسترة الفساد بخدعة      نكراء بالخز الشهي مرقعهُ

\* \* \*

أسلية الفحشاء نارك في دمي      فتضرمي ما شئت أن تتضرمي  
أنا لست أخشى من جهنم جذوة      ما دام جسمي، يا سدوم، جهنمي  
طوفت بي ميثًا بأروقة اللظى      فحملتُ تابوتي وسرت بمأتممي  
وعصبت بالشبق المجمر جبهتي      فرفعتها في عصري المتهمم  
علمتني لغة النبوءة عندما      فجرت ألغام السموم بمنجمي  
مهلاً كلانا يا سدوم مسلح      فلظاك في جسمي وثأرك في فمي  
سيرت قلبي في المهازل شاعرًا      وذرت مسحوق العظام بمرقمي  
فكأن غضبة أنبيائك عندما      أحرقت عاشت في اللظى المتكلم  
أبغى هذا العصر خمرك فاغرفي      واسقي ذراريّ الورى واستسلمي

وبمضجع الغرباء نامي حقبه  
وتمرغي ما شئت في حمأ البلى  
حتى تضاجعك الأفاعي في الدجى  
حتى يفور الدود منك وينثني  
حتى يدب الموت فيك وتمحي  
ثم اعدلي عنه لآخر وارتمي  
حتى يجف بك الرضاع وتهرمي  
ويصير حسنك مخدعاً للأرقم  
يمتص جيفة عرضك المتهضم  
ذرية المهد الأثيم المجرم

١٩٣١



## الخيال النقي

يا ابنة الإثم هذه شفتايا  
واعصري ما استطعتِ قلبي فقلبي  
وتوَّقِي إحدى زواياه لا تُقْـ  
إنَّ في قلبي البغيَّ خيالاً  
إنْ تكنِ حفتني المدممةُ ملكي  
فارشفي منهما رحيقَ الخطايا  
لم يزل فيه من غرامي بقايا  
سَيِّ فلي حرمة بإحدى الزوايا  
من عفاف ما فاجرته البغايا  
فخيال العفاف ملك سوايا





## عهدان

أولاً تراهم يرتدون  
يستنزفون دم الشباب  
هذا فتى كانت تمؤ  
كان الندى يطفو على  
كانت أزاهير الربى  
وذرى الجبال إذا رأت  
ماذا دهاه اليوم؟ ألس  
أما الجمال فإنه  
ولكم سمعت الورد يُن  
والفجر أصبح يعرف الد  
الليل حتى منتهاه  
ويرقصون على قواه؟  
وَجُ بالجواذب وجنتاه  
آماله وعلى صباه  
بالأمس تسكر من شذاه  
هُ تقول: «ما أعلى ذراه!»  
شَهوات تعرف ما دهاه؟  
لم تبق تعرفه دُماه  
كِرُهُ فيسأل: «من تراه؟»  
دُنيا جميعاً ما عداه

\* \* \*

عهدان: عهد هوى نقي  
وهوى يعربرد في دمي  
لم أدر من هي أمه  
بحر من الشبهات مز  
ألهم صخرته الصغى  
سي مات في شرف وجاه  
وتنش في كأسى دماه  
العرى، ولم أعرف أباه  
آة لأهوال الحياه  
رة والمساخر شاطئاه

\* \* \*

أفاعي الفردوس

لا تطعم الحبَّ اللجا م ودعه يدلج في سراه  
دعه فأم الطفل تمُّ لكه كما ملكت سواه  
لسريرها خلجاته ولمرشفيها مرشفاه  
ونساء هذا العصر إن أحببن أطعمن الشفاه  
أما قلوب العاشقا ت فإنها وأخجلتاه!

١٩٢٩

## الشهوة الحمراء

وخلّني في كوابيسي وأحلامي  
إلى العفاف فأنسى عبء آثامي  
ففي دمي سورة كالخمر في جامي  
يُودِي بجسمي كما أودى بأجسام  
وهمُّ هذيت به من بعض أوهامي!

أطفئ ضياك وأظلم مثل إظلامي  
فربّ نيرة - يا ليل - توقظني  
أحسُّ في جسدي شوقًا يعذبني  
لم يبق في حفنتي نار لغير هوّ  
حبي النقيّ كإيماني القديم مضى

\* \* \*

عاصف الريح كيف تذوي زهوره  
ثام يقسو وقد يجف شعوره

أترى الغصن مذ يمر عليه  
هكذا القلب حين تلبسه الآ

\* \* \*

ميت لقلب بغّي أخت الأم  
عفافها فأماتت قلبها الظامي  
في النفس أم كان إنقاذًا لأيتام  
ما كان في صدرها من عهرها الدامي  
فيمّحي رحمٌ من بين أرحام!

يا حسرة الليل كم توحين من حلم  
أو قلب أرملة جارَ الزمان على  
مهما يكن سبب استسلامها أهوى  
فلتقض شهوتها حتى يهدمها  
وتنجز الشهوة الحمراء دورتها

\* \* \*

من نسلك الهادم المهدوم فاحترمي  
مني فإنني احترفت الموت من قدم

أميرة الشهوة الحمراء، إنّ دمي  
خُلقتِ تحترفين الموت فاقتربي

حملتُ منجله في العهر منتقمًا      من النساء فهاتيه لتنتقمي!  
هاتي من العهر أشكالا ملونةً      نمهرُ بها بعضنا بعضًا ونهدم  
لقد تعبتُ من الأحلام في جسد      ملَّ العفافَ بألوان من الألمِ

\* \* \*

«ولنعاطِ الهوى لعل عصيرًا      من ثمار الشفاه والأكبادِ  
أو لعل الآثام تشرب منا      ما تبقى من طهر ماء العمادِ»

\* \* \*

إننا اتحدنا ليوم واحد وغداً      يأتي فيخلفني قوم بحبهم  
سيعشقونك يوماً يغنمون به      ما غادرتُ منك ساعاتي لليلهم  
وسوف تنسين - يا أخت الدما - فمهمُ      كما نسيت - على رغم الدماء - فمي!  
عشرون قلباً شربتِ الحب من دمها      وما شبعت ولم يشبعك شرب دمي  
إذن فسوف تظل النفس جائعةً      حتى يجف دم في غلفها النهم؟

\* \* \*

سترجعين ولكن مثل أمالي      جوفاء مشلولةً في جسمك البالي  
سترجعين مدماةً مشوهةً      أدنى إلى الموت مني رغم أثقالي  
سترجعين كطيف مر في حلمي      ليلاً فذكّرني في الحلم أهوالي  
سترجعين ولا أقصيك عن جسدي      حتى تحل الليالي الحمر أوصالي  
حتى يحل وباء الخلد في كبدي      ويعلق العار من بعدي بأذيالي!

\* \* \*

غير أني - ولي يراع مدمي -      سوف ينقى ذكري وتنقى دمائي  
ستقول الأجيال كان شقياً      فليُقدّس في جملة الأشقياءِ

\* \* \*

ويرفع الحب لي في كل زاوية      من القلوب ضريحاً خالداً عالي  
أما الشباب ففي أقصى سلالته      لن ينتسي كيف كانت في الهوى حالي  
سينظر الغد في أمسي ويغفره      لأن قلبي - كنفسي - غير محتالٍ  
وكلما ذكر اسمي مر في فمه      نكّر التي صقلت للموت أغلالي

نُكِرَ التي اختصرت عمري بشهوتها وخلصت عهرا الدامي لأجبالِ

\* \* \*

أجلُ ستذكرك الأعقاب والحقب ما دام في الأرض من صلب الزنى عقبُ!  
لا مثلما ذكر الإفرنج «لورهم» ولا كما ذكرت «عفراءها» العربُ  
بل مثلما ذكرت روما قبائحها في مقلتي «مسلينا» وهي تضطربُ  
هذا هو الليل فاسقي السم هاتفة لعل في الناس قومًا بعدُ ما شربوا  
وسرّحي يدك الصفراء فوق هوى يسيل في محجريه الجهد والتعبُ

\* \* \*

ولتكن هذه الإشارة رمزًا لاصفرار على الملذات مرًا  
لوّنيها بالاصفرار إلى أن يخبم الموت نزعها المستمرًا  
أطفئ ضياك فإن النور يُذكرني أمسى وتقلق روعي هذه الشهبُ  
قد يوقظ النور أعيادًا مقدسة تشع من خلل الماضي وتلتهبُ  
أطفئه يا ليل واغمرنى بحالكة من الظلام فأنسى حين أحتجبُ  
أشقى بلذتي الحمراء في جسدي وأمّحي، لا هوى يبقى ولا صببُ  
خرّبت قلبي وأطعمت الوحوش دمي في كل مخلب وحش منهما خربُ



## شهوة الموت

ناقمٌ على السماءِ      حاقِدٌ على البشرِ  
ساخطٌ على القضاءِ      ثائرٌ على القدرِ  
غير قطرةِ المساءِ      لا أحب في السحرِ  
صرت أمقت الصفاءِ      صرت أعشق الكدرِ  
غير مشهدِ الدماءِ      لا أحب في الصورِ  
ناقمٌ على السماءِ      والبشرِ!

\* \* \*

جملي لي الجسدُ      واسكبي لي الرحيقُ  
لا تفكري بغدٍ      قد يجي ولا نفيقُ  
ما لنا وللأبدِ      إن سره عميقُ  
الهوى إذا اتقدُ      كان للبلبي طريقُ  
فلنمُتْ يدًا بيدَ      ولنغيب البريقُ  
بين شهوةِ الجسدِ      والرحيقِ





## حديث في الكوخ

سمعتني أقول شعراً شقيماً  
يستفز الألام في سامعيه  
فتلاشت وتمتمت في سكون الـ  
لَيْلٍ: «أله! ما الذي يشقيه؟»  
ثم أخفت في ضفة العين دمعاً  
شاء سر الوقار أن تخفيه

\* \* \*

قلت: «في مقلتيك خمر العذارى  
فهي إكسيرك الذي تحجبينه  
ما خمور الكئوس مهما تلظت  
كخمور القلب الذي تعصرينه  
تسكين الشعر الطروب من العيب  
من وفي النفس غير ما تسكينه  
إنَّ فيها آيات حزن أليم  
ورموزاً من الليالي حزينه!»

\* \* \*

وتمادى السَّمَارُ في خمرة الكأ  
س وكل منهم سها كأخيه  
وعزيف الأوتار يمزج بالخمم  
ر عصيراً أرق من شاربيه  
قلت: «في مهجتي فراغ رهيب  
فاعصري فيه فلذة تملئيه!»

\* \* \*

فأمالت عني عيوناً سكارى  
وأمالت إليّ قلباً شقيماً!  
وأذابت من مقلتيها رحيقاً  
جرعته الشجون في مقلتيها  
ثم قالت: «خبرت حب البغايا  
فنظمت العذاب شعراً بغياً!»  
فتبينت كل ما أضمرته  
حين مالت عني ومالت إليّ

\* \* \*

وتراءى في رفرق الليل مولو دُ عليه غلالة من أبيه  
فأطلت من كوة الكوخ والليد ل يذف الضحى إلى ساهريه  
قلت: «فيما تفكرين؟» فقالت: «في سكون الدجى وفيما يليه!»

\* \* \*

واشرأبت من الكوى الأعناقُ وأذابت بريقها الأحداقُ  
واستفاقت من نومهنَّ العذارى حائراتٍ والعاشقون استفاقوا  
الخليئون أوَمئُوا بيديهم وبطرف اللواظ العشاقُ  
واستفاق الجميع من نشوة الخُم مرة حتى الآمال والأشواقُ

\* \* \*

قلت: «فيما تفكرين؟» فقالت: «في يراع سحرُ الهوى من ذويه  
في يراع علمته الحب حتى صرت أهواه صرت من عاشقيه!»  
فذكرت الماضي وقلت لقلبي: إنها — يا شقي — تهواك فيه

\* \* \*

أيها الفجر يا حبيب الشقيئُ من ويا مشعل الهوى والشبابِ  
أيها الشاطئ المسرُّ إلى المو جِ حديثَ العشاق والأحبابِ  
أيها الكوخ والعيون السكارى بخمور لم تمتزج بعذابِ  
لا تجسي قلبي فلم يبق فيه من بناء الماضي سوى أخشابِ

\* \* \*

وانصرفنا وقبل أن أتوارى عن جمال الشاطي وعن ساكنيه  
قلت للمرأة التي أمتني حين قالت الله ما يشقيه؟!  
«لي قلب أفرغته فاتركيه في الهوى فارغًا ولا تملئي!»

## الصلاة الحمراء

رباه عفوك إنني كافر جان      جوعت نفسي وأشبعْتُ الهوى الفاني  
تبعْتُ في الناس أهواءَ محرمةً      وقلت للناس قولاً عنه تنهاني  
ولم أفقُ من جنون القلب في سبلي      إلا وقد محتِ الأهواءَ إيماني  
رباه عفوك إنني كافر جان

\* \* \*

لَكم دعنتني إلى الفحشاء أميال      وأنذرتني تجاريب وأهوال  
إنَّ التجاريب للألباب موعظة      لكنها لأولي الإضلال إضلالُ  
تلك الليالي المواضي لا يزال لها      بين الخرائب في عيني أطلالُ  
واحسرتها! وقلبي لا يزال له      في لذة العار أوطار وأمالُ

\* \* \*

لما استفاقت عيوني      في ذلتي وهواني  
عزمتُ أن أتعرى      من شهوتي فثناني  
وقال لي: «الحكم حكمي      والأمر طوع بناني  
لا تستطيع التغني      في الحب عن سلطاني  
والحب لا يتغنى      إن لم يكن شهواني!»  
فلم أجد لي مفيضاً      يوماً من الإذعانِ  
فصرت أغذوه عاراً      والنفس في تيهانِ

وصار يسكر روعي      بنغمتي خفقان  
بنغمة من لهيب      ونغمة من دخان  
حتى ظننت نعيمي      في ذلك البركان  
رباه عفوك إني كافر جان

\* \* \*

وطأت لي كنف الدنيا فقلت قفي      يا نفس في منهل اللذات وارتشفي  
ومال مذهب طبعي عن سجيته      حتى تقلب في بطل وفي صلف  
وغاب عني أني عشبة نبتت      على جوانب إبريق من الخرف  
على جوانب إبريق إذا نظرت      عينٌ إلى عتقه انحطت على تلف

\* \* \*

فخارة ذات نثن      قديمة كالزمان  
مرت قرون عليها      فحال لون الدهان  
ومهد النتن فيها      مسارب الديدان  
فخارة دنستها      خواطر الإنسان  
تخاصمت جانبها      مظالم الأديان  
كأنما الدين فيها      ضرب من الويل ثان  
كم مرة أوعدتها      ثوائر الغليان  
وكم تفجر فيها      بالأمس من بركان  
تبقى قرونًا طوًّا      وتمحي في ثوان  
خرأفها ذو حنان      حينًا وذو سلطان  
ينهى ويأمر بالصا      عقات والنييران  
ييدانها مسكرات      بخمرة التيجان  
والتاج، لو هي تدري      معني من البهتان  
رباه عفوك إني كافر جان

\* \* \*

فخارة جبلت بالدمع والطين      من عهد قايين أو من قبل قايين

نيرون أضرم فيها جمر مقلته  
تبادرتها من الديدان طائفة  
ما كان إسكندرُ فيها سوى شبح  
تلك البراكين من أجفان نيرون  
أبطال حرب من الغلب المجانين  
يحجّب الشمس عن عيني ديوجين

\* \* \*

ما كان جنكيز إلا  
تضرمت وتوارت  
رب المغول إله النُ  
ثارت عليه كما ثا  
والنار تمحق إلا الت  
أبقت لفارس ذكرى  
وقوّضت ما بناه  
لم تُبق إلا بقايا  
تلك البقايا عظام الزُ  
تلك البقايا رموز  
أين النبي شيدته  
حُلم من المجد أبقى  
شرعُ المقدرُ الأ  
أما الكمال فحلم  
يُرقى إليه رويدًا  
على الإرادة والتض  
حتى إذا حك كان ال  
وكان للنار رأي  
أمُ الزلازل طوًا  
آثارها باقيات  
والناس، واحسرتها!  
أعمى له مقلتان  
ومبصر أظلمته

شرارةً في الكيان  
بين الرماد الفاني  
نيران والعصيان  
ر سنّة النيران  
تذكار في الأذهان  
كسرى أنوشروان  
من شاهقات المباني  
خورنق النعمان  
زمان للإنسان  
لسخريات الأمانى!  
جلائل الرومان؟  
أسطورة في اللسان  
يبقى سوى الخسران  
في هجعة النقصان  
على متون الزمان  
حيات والعرفان  
كلام للطوفان  
وللدمار يدان!  
فة بكل مكان  
وقفًا على الأجفان  
اثنان مختلفان  
في العقل مبصرتان  
عينان لا تريان

\* \* \*

ثُرى مشيئتك العليا تنادينني  
رباه هل ينتهي حلمي ببارقة  
وهل أرى زاحفًا في الليل ملتهبًا  
أدعوك والظلمة الحمراء تحرقني  
أعرضت عنك غداة القلب ضللني  
وحين أوقظت من سكر الهوى خجلًا  
فلم تمل قلبك الرحمن عن ألمي  
بثورة النار في تلك البراكين؟!  
من اللهب ويخبو الطين في الطين؟!  
بجمرة السخط في أيدي الشياطين؟!  
فلا تجيب وتلوي لا تنجيني؟!  
كأن شهوة قلبي عنك تغنيني  
بحثث عنك وكاد العار يخفيني  
وقلت: «تطلبني بين المساكين؟»

\* \* \*

لكنني عدت بعد التُّ  
إلى ذنوب جسام  
ملوثاتٍ بدمع  
وقلت للقلب: «أطلق  
طيفُ الإله بعيدُ  
وقيل يوم عصيب  
تنفَّذ النار فيه  
فرحت أسأل نفسي الدُّ  
فلم أجد من يحامي  
رباه عفوك إنني كافر جانٍ  
تَكفير عن تيهاني  
كثيرة الألوان  
مخضبات بقانٍ  
في المويقات عناني  
وعينه لا تراني»  
ينقضُّ قبل الأوان  
والحكم للديانٍ  
دفاع عن كفراني  
عني سوى بهتاني

٢١ نوار ١٩٢٨

## الدينونة

حول خيالك عني      ولا تخييم عليّ  
فليس أهلك مني      ولا اللظى من يديا  
لم أغش في النفس مأثمٌ      ولم أنادم رجالك  
إبليس، ليست جهنمٌ      داري فحوّل خيالك

\* \* \*

قيثارتني لم ألطّخها بأقذار      على طوافي بها في بؤرة العارِ  
عذراء تتهم العرّى بكارتها      في كل خمارة أصغت لأوتاري  
وكل قاذورة ترقى بعورتها      إلى لسان ذريف الخبث سيّارِ  
تنكر الخفر الممسوخ في دمها      بزخرف عاقر في منطلق عارِ  
أوتار قيثارها الموبوء فاجعة      كأنها حية لاذت بقيثارِ  
أفعى أصيبت بحمى المجد فانقلبت      من كهفها مزقاً سكرى على الغارِ  
إبليس، خذ هذه العرّى فإن بها      ما في جحيمك من زفت ومن نارِ  
خذها إليك وعقمها فلا حبلت      أنثى من الإنس بالكبريت والقارِ

\* \* \*

كم شاعر خبثت فيه عرائسه      فراح يملي بأنياب وأظفار!  
من المواخير أوحينَ الجمال له      معرّف الشهوة السفلى بأزهارِ  
وجئنه بأكاليلٍ مفعّعة      نمت سموماً على حافات أوجارِ

تاج من الدرك الأدنى يطوف به  
تسير في ركبه الأقرام حاشية  
تهتكت سخریات الخلود به  
لا يضمّر الحبّ إلا في محاجرهِ  
على الخفافيش في أشلاء أطمار  
قامت لتأييده في ملكه الهاري  
فصاح تلك على الأجيال آثاري  
فعينه للهوى والقلب للثار  
من صلبه أسرة شوهاة في دار  
إبليس، خذه وعقمه فلا نشأت

\* \* \*

كم عاشق راغ من عذراء طاهرة  
باكورة الحب أبقى في مراشفها  
حتى إذا أدنأت فيه وفاجرها  
أهوت على يأسها واليأس ينخزها:  
عُلت من الملاء الأعلى بأنوار!  
ثدي السماء رَضاع الفاطر الباري  
وقام يطرحها عن جسمه الضاري  
إما الضريح وإما العار فاختاري  
ترغي على زهده أرياق عشار  
فأظهرت حَملاً في قلب جزار!  
وارفع جناحك عن أبكار أوتاري  
وعقم النار يا إبليس بالنار  
وكم وليّ رعى شعباً فأهلكه  
وحاكم سفلت فيه وداعته  
إبليس، خذهم جميعاً في براقعهم  
خذهم إليك فلا عادت سلالتهم

\* \* \*

حول خيالك عني  
فليس أهلك مني  
لم أغش في النفس مأثم  
إبليس، ليست جهنم  
ولا تخيم عليا  
ولا اللظى من يديا  
ولم أنادم رجالك  
داري فحول خيالك

\* \* \*

وما سرى في مقاصير اللظى خبر  
إنّ الورى أطلقوا ريحاً إلى سقر  
حتى أطلت من الأشباح طائفة  
بُله العيون ضخام كلما وغلوا  
حار اللهب به واستسألت سقر  
تقود للنار قومًا دانه البشر  
في هودج يتنزي تحته الشرر  
في مسرب من دياميس اللظى صغروا  
فأس على جانبيها صور الدعر  
وجيشت زمر في إثرها زمر  
تجرهم بومة حمراء في يدها  
فثار ثائر أهل النار كلهم



إيوان إبليس حيث الجن قد سكرُوا  
 يَفْحُ في شفّتيه حيّة ذكرُ  
 وصولجانُ من الأحلام منكسرُ  
 من ثوبه الأحمر القاني فتستعرُ  
 رهط من الجن حتى مسه خدرُ  
 فقال إبليس: «مهلاً هذه سقرُ  
 من الحقيقة لم ينبض بها وترُ  
 إلّا خفافيش بالديباج تستترُ  
 على الألى أنشدوا شعراً وما شعروا»  
 في كفه سلع في عينه قذرُ  
 من الفضيلة لم يعلق بها أثرُ  
 يداه في الأرض لا يعلو له بصرُ  
 على الألى أقسموا للشعب وابتهروا»  
 يرغي ويزبد لا يبقي ولا يذرُ  
 وفي الجبين خيال الله يندحرُ  
 في منطق الرسل الآيات والسورُ  
 على الألى ما جزوا إلا ليتئروا»

تدفقت من سراديب الجحيم إلى  
 وكان في موكب الأشباح ذو بطر  
 عليه قيثاره ثكلى مخلعة  
 يلقي على غرف النيران أخيلةً  
 فما أصاخ إلى الأنغام يعزفها  
 وصاح: «ما هذه الرؤيا؟ وأين أنا؟»  
 حملت قيثاره في الأرض كاذبةً  
 وريشة من جناح البوم ما رسمت  
 فأنت لي وجحيمي لي أوزعه  
 وكان في موكب الأشباح ذو صلف  
 يجر ذيل قوانين مشوهةً  
 فقال إبليس: «أطرق، إنّ من سفلت  
 فأنت لي وجحيمي لي أوزعه  
 وكان في موكب الأشباح ذو خطل  
 في مقلتيه براكين مرمدةً  
 فقال إبليس: «أقصر لم تكن غضباً  
 فأنت لي وجحيمي لي أوزعه

\* \* \*

والجن تعزف والنيران تنفجرُ  
 يقول للنار: «أهل الأرض قد غفروا»

وكانت الخمر ترغي في مقاصفها  
 إذا بصوتٍ من الأرض التي صفحت



## الطرح

في دمائي كانت وفي أعراقي  
بيّ في لذتي وفي أشواقي؟  
هي وكنت الرجاء في أعماقي  
طمت حلماً نما على أحداقي  
عمك منه سوى الفتات الباقي؟  
حجرت غصتي على إشفاعي  
عالمًا فيك موحش الآفاق  
مَل حَسَن والقزَم في العملاق  
ديق والسَم في الشراب الواقِي  
بِ وصوت العدو في الميثاقِ  
م فيرقى منها إلى الأرياقِ  
س ويحلو عصيرها في المذاقِ؟  
ه وفي القلب للسماء مراقِ  
بعضه ما ببعضه من خلاقِ  
سي فيصدي الهتاف في أبواقي:  
بَ وسموا الزلال في ترياقي  
عبرًا للدمار في العشاقِ  
ه غصوني وكَمشت أوراقي

رَجُمُ الأم لعنة أنت منه  
أم عقاب لما تسحَّق من حُبِ  
حملت أمك القنوط إلى وجِ  
جئت في سحنة المسوخ فلم حطِ  
ألأني بذلت حبي ولم أطِ  
عشت في مقلتي ساعة هول  
وأرتني كأنني في جُثام  
فرأيت المسخ المخيف على أكَ  
ولسانَ الثعبان في قبلة الصُدِ  
وسمعت الفحيح في النغم العُدِ  
كم نفوس رأيتها تلفظ الإثِ  
لذة الإثم كيف تمقتها النفِ  
كم فتى يسعر الجحيم بعينيِ  
ولقد ينصر الجحيم فيريدي  
وسمعت الحياة تهتف في نفِ  
«أهلك المائتون في رحمي الحُبِ  
فطرحت الأتزام في أسواقي  
ورأيت الفردوس لفت أفاعيِ

أفاعي الفردوس

وتراءت لي الطبيعة دنيا      من كمال نسيقة الأذواقِ  
فرأيت الجماد شبعان حبًّا      كل صدر عليه ثديُّ ساقِ  
إنَّ في الحب صورة الله لكنُّ      أين في الخلق صورة الخلاقِ؟»

١٩٣٨



